

البيئة.. رؤية إسلامية



يتميز مفهوم البيئة في الإسلام بشموليته فهو يضم كل مخلوقات الله.. الأرض بما عليها من إنس وحيوان وطير، وما يظهر فوقها من جبال وطُرُق ونبات، وما يجري تحتها من أنهار وبحار وعيون، وما يحيط بها من هواء، وما أودعه الله فيها من كنوز ومعادن وغيرها... والسموات، وما تضمّه من كواكب و مجرّات وغازات وسحُب، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَإِلَّا نَسٌ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَوْطَانِ السَّمَاءِ وَأَلَّا رُصْدَقَ فَمَا نَفُذُ وَلَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن/33)، و قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي أَلَّا رُصْدَقَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ طَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان/20)، و قوله جل شأنه: ﴿إِلَّا ذِي جَعْلٍ لَكُمُ الْأَرْضُ فِرَاشًا وَالسَّمَاءُ بَنَاءً﴾ (البقرة/22). من هذا المنطلق دعا الإسلام إلى احترام البيئة وتقديرها والإحسان إليها والامتنان لها، عبر المحافظة عليها من كل ما يلوثها ويؤديها، وكل ما يُسيء إلى عناصرها من ماء وهواء وتراب وموارد.

إن زراعة نبتة لها أجر كبير عند الله في الإسلام، فعن النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»، في إشارة إلى أهمية الزرع ودوره. ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): «اكرموا عمّتكم النخلة»!. وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ست خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ منه، وقليل (بئر) يحفره، وغرس يغرسه، وصدقه ماء يُجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده».

إن نظرة الإسلام إلى البيئة نابعة من المعرفة بالله، والتصوّر الشامل للإنسان، والكون، والحياة، وإن أي خلل في التصور ينعكس فساداً في السلوك، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه سيد الموقف، فهو سيد هذا الكون، وكل ما في الكون مخلوق من أجله مُسخر له باعتباره الخليفة المؤتمن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنَّنِي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَجْنُونُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/30)، وقال

تعالى: إِنَّمَا فَيَأْذِنُ لِرَبِّكَ مَنْ يَشَاءُ إِنَّمَا خَالقُ بَشَرًا مِنْ طَينٍ * فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَزَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (ص/ 72-71).

كما إنّ موقع الإنسان في هذا الكون يحدّد له الدور الذي ينبغي عليه القيام به لتحقيق المهمة التي نصّطت به، فالإنسان خليفة مؤتمن، قال تعالى: إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجَنَّاتِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقْنَاهَا
وَحَمَلَهَا إِنَّمَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب/ 72)، فالخلافة عن الخالق في
الخلق، تلزم الإنسان الخليفة بالمحافظة على الكون - المستخلف فيه - حتى يؤدّي الأمانة التي حملها
فلا يظلم نفسه، فهو سيّد هذا الكون، ولتحقيق هذه السيادة سخّر له كلّ شيء حتى يتمكن من أداء
الأمانة.

وهنا يأتي أيضاً مفهوم الرّفق الذي هو من المفاهيم الإسلامية التي تساهم في حماية
البيئة، لأنّه لا ينحصر بالرّفق بالإنسان بل يتّسع ليشمل الرّفق بالحيوان والطبيعة
أيضاً، فرُوويَ عن رسول الله ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنَّمَا يحبُ الرّفق ويعين عليه،
إِذَا رَكِبْتُمُ الدَّوَابَ الْعَجْفَ فَأَنْزَلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ مَجْدِيَةً فَأَنْجُوا
عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَخْصَبَةً فَأَنْزَلُوهَا مَنَازِلَهَا». فالرّفق خُلُقٌ إسلامي رفيع ينبغي التخلّق به ومراعاته في
التعاطي مع الإنسان أو الحيوان أو الطبيعة.